

السخرية في شعر مرید البرغوثي دراسة تحليلية نقدية
*Analysis and critique of ridicule in the poems of Morid
 Barghouti*

* طيبة سيفي

* فاطمه فرجى

* مهيا گرشاسبى

تاريخ النشر: 2021/08/20	تاريخ القبول: 30/06/2021	تاريخ الإرسال: 07/03/2021
-------------------------	--------------------------	---------------------------

الملخص:

إنّ الأدب الساخر ليس فناً سهلاً ويسيراً؛ بل هو فنّ معقّد يتجلى في تصوير حقائق المجتمع المأساوية بشكل غير مباشر فيدعو القارئ إلى الضحك والبكاء من ناحية وتدبّر عميق يوقظه من غفلته من ناحية أخرى. يعتبر مرید البرغوثي من أبرز شعراء المنفى الذين تحدّثوا عن القضية الفلسطينية في أشعارهم بحيث كانت الفلستين حاضرة في جميع أعماله الأدبية ولقد لجأ إلى السخرية كوسيلة لنقل أفكاره وغضبه من الأوضاع المؤسفة في الأراضي المحتلة ونجد أنّ هذا الفنّ في شعره لم يكن يقتصر على اللهو والتسلية، بل كان تجسيداً للواقع الأليم الذي عاشه الشاعر وحوّله إلى أداة للكفاح والنضال. لذلك قمنا في هذا البحث دراسة اشعاره الساخرة معتمداً على المنهج الوصفي - التحليلي حتى نكشف الهدف الذي يقصده الشاعر في اللجوء إلى السخرية.

الكلمات المفتاحية: السخرية، الشعر الحديث، شاعر المنفى، مرید البرغوثي.

المؤلف المرسل: طيبة سيفي seyfie_288@yahoo.com

* استاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة الشهيد بهشتي، طهران، إيران seyfie_288@yahoo.com

* طالبة الماجستير (قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة الشهيد بهشتي، طهران، إيران) faraji.fatemeh75@gmail.com

* طالبة الماجستير (قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة الشهيد بهشتي، طهران، إيران) grshasbymhya@gmail.com

Abstract:

Artistic humor literature is not easy, but it is a complex technique that indirectly depicts the painful state of society. So it invites the reader to laugh or cry on the one hand, and to think deeply on the other which awakens him from his negligence. Morid Barghouti is one of the most prominent negative (exiled) poets, which spoke about the issue of Palestine. Palestine was present in all his literary works and he has resorted to ridicule as a means of conveying his thoughts and anger over the deplorable conditions in the occupied territories. We understand that this art in his poetry is not limited to entertainment, but is a show of painful facts that the poet himself has touched it and turned it into a weapon of struggle. The purpose of this article is to study ridicule in the poems of Morid Barghouti, relying on the analytical descriptive method. so in this research we used analytical method for describing ridiculous poems to reveal the goals of the poet in his lyrics.

Key words: Ridicule, new poetry, poet in exile, Morid Al-Barghouti.

المقدمة:

السخرية وسيلة فنية يتوسل بها الشاعر ليعبر عما تضيق نفسه من معاناة، تثير فيه الغضب على المصائب والعراقيل التي تحول دون نيل الأهداف والغايات المنشودة فيها ومن الأسباب التي تدفع الكاتب لاستخدام السخرية والأدب الساخر أنه يعيش في مجتمعه مشاكل لا يستطيع التعبير عنها بشكل صريح؛ فلماذا قد يلجأ إلى أسلوب ساخر. «للبشر في مواجهة الحياة أساليب شتى، فنرى البعض يواجهها بشجاعة، وغيرهم يهرب منها بلباقة. وقد يواجهها البعض بشجاعة بشيء من الجد، يكثر أو يقل تبعاً لأهمية المشكلة، وقد تكون المواجهة ببعض الهزل، أو بقليل من السخرية، أو بابتسامة مرحة تحمل الرضا والتفاؤل، تخفف من وطأة الموقف أو تمحو أثره تماماً»¹. «السخرية من أكثر الظواهر الأدبية تشبهاً بالبيئة الإجتماعية»² فهي « ذات طابع اجتماعي تعمل على تقوية الروح والتعاطف بين الأفراد»³ ويعبر الساخر عن وجهة نظر المجتمع تجاه الموضوع المسخور منه، لأنه «أشبه بالمتحدث الرسمي للمجتمع الذي استقرت فيه قيم وأخلاق وسلوكيات معينة، فإذا ما خالفها أحد من أبناء الجماعة الواحدة، فإنها تعطي لصاحب الذوق الفكاهة الضوء الأخضر، ليشرع سهامه في نقد ذلك المنحرف عن تلك القيم المورثة والمقدسة»⁴ «السخرية هي خير مرآة تنعكس عليها أحوال المجتمع، وما مر به من أحداث، وما اكتسب من مقومات، وما

السخرية في شعر مريد البرغوثي دراسة تحليلية نقدية

ندمج في خلقه من سمات⁵ ويحتلّ الساهر مكانة في المجتمع، إذ أنّه يقف لأخطاء المجتمع يترصدها ويحاكمها، فهو «شخص عميق الإدراك بطبائع النفوس وحقائق الوجود والكون، ومحبّ للإنسانية يمنحها كلّ اهتمامه»⁶ «لعلّ أحد أهم الأسباب الباعثة على السخرية هو عنصر الإرتياح والسرور، وهذا ما يستتبع اللهو والتسلية، وبالتالي فإننا نجد في السخرية- على اختلاف أنواعها- لهواً يُبعد الإنسان عن الحياة الواقعية الجادّة، بل وينقله إلى عالم الدعابات والألعييب. وكذلك تساعد المآسي على بروز السخرية كوسيلة من وسائل النقد والإصلاح، أو الهرب وإنكار الواقع والتخلص من حالات القلق النفسي والحصص والخوف، بل والتعالى على هذا الواقع المفروض»⁷ إن قضية الشعب الفلسطيني الملهوف بات يشغل بال كل إنسان وإع متألّم حيث لا يمكن التغاضي عنه لأن ظروفهم تجرح الأحاسيس، وبما أنّ المريد البرغوثي برع في استخدام السخرية اللاذعة كأداة للتعبير عن الظروف المؤسفة للأجنيين في الشتات ولا مبالاة الجمعيات الدولية التي تتشرق باسم حقوق الإنسان إلا أنّها لا تحرّك ساكناً، لذلك قمنا في هذا البحث دراسة اشعاره الساخرة حتى نكشف الهدف الذي يقصده الشاعر في اللجوء إلى السخرية وبناء على هذا يحاول هذا المقال، دراسة وتحليل أشعار البرغوثي من ناحية المضمون والأسلوب؛ ليجيب عن هذه الأسئلة:

- 1) لماذا لجأ البرغوثي إلى توظيف السخرية في شعره ؟
 - 2) كيف استخدم الشاعر السخرية في اشعاره؟
 - 3) ما هي الأساليب التي استخدمها الشاعر في تعابيره الساخرة؟
- خلفية البحث

إنّ السخرية في شعر مريد البرغوثي لم تدرس في ضوء دراسات مستقلة وهذه هي أولى خطوة في هذا المجال ولكن هناك بعض الدراسات تناولت زوايا أدبه المختلفة وهي:

1. التناص في تجربة البرغوثي الشعرية، حصّة بنت عبدالله بن سعيد البادي، المنشورة في جامعة السلطان قابوس، 2002م. 2. قصيدة السيرة في الشعر الفلسطيني المعاصر محمود درويش، فدوي طوقان، مريد البرغوثي نموذجاً، نجية فتحى عبدالرحمن، المنشورة في الجامعة الهاشمية، آذار 2003م. 3. المفارقة في شعر مريد البرغوثي، نداء أحمد محمود مشعل، المنشور في الجامعة الهاشمية، كانون الثاني 2004م. 4. رسالة جامعية نوقشت سنة 2004م بجامعة طنطا لصالح الدّين عبدالعزيز علي الجبيلي. يتناول الباحث بدراسة عناصر البناء الدرامي في شعر مريد البرغوثي مثل الحوار والمفارقة الدرامية والصراع

الدرامي؛ كما يدرس تأثير تناول الدرامي في الشعر على البنية الشعرية نفسها والعلاقة بين الصورة الفنية والدراما ومؤثرات الدراما على هندسة القصيدة.5. مريد البرغوثي ومنتصف الليل، محمد ابو زيد، المنشور في مجلة المحيط الثقافي، المجلد 4، العدد43، 2005م. 6. البنية الدلالية لخطاب السيرة الروائية الفلسطينية المنجز بعد أوصلو سردية: رأيت رام الله وولدت هناك ولدت هنا للأديب مريد البرغوثي نموذجاً، زين العابدين محمود العواودة، المنشور في مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية، المجلد 20، العدد1، 2012م. تتناول هذه الدراسة الكشف عن البنيات الدلالية لخطاب السيرة الروائية الفلسطينية المنجز بعد إبرام اتفاقية أسلو عام 1993م وتطبيق بعض بنودها على الأرض وخاصة عودة القيادة الفلسطينية إلى الضفة الغربية وقطاع غزة وإقامة السلطة الفلسطينية المسؤولة عن إدارة الشؤون المدنية للفلسطينيين فيها.7. التناص العنواني في شعر مريد البرغوثي، أحمد موسى الخطيب، مجلة جامعة القدس المفتوحة للبحوث الإنسانية والاجتماعية، العدد السادس والأربعون، 2018م. يُعنى هذا البحث بتسليط الضوء على أهمية التناص في شعر مريد البرغوثي منطلقاً من العنوان الشعري، إذ يعدّه المحور الأساسي الذي يحدّد هوية النصّ وتدور حوله الدلالات، وتتعالق به. فيتناول كيف أسهم التناص العنواني في شعر البرغوثي في خلق بناء جمالي متحقق بتعالق العنوان مع نصوص مختلفة مثل: التناص الديني، والأدبي، والشعري، والذاتي، والأسطوري، والتاريخي، والفلسفي، والتناص مع فنّ الرسم.8. رسالة جامعية نوقشت سنة 2019 في جامعة غزة لعادل طلال صيام تحت عنوان "التشكيل الجمالي في شعر مريد البرغوثي". تتناول هذه الرسالة دراسة الأعمال الروائية للأديب مريد البرغوثي التي تمثل تاريخاً للواقع الفلسطيني في الوطن والشتات، حيث تعتمد على المنهج الشكلي الذي يقوم على دراسة هيكل القصيدة ومكوناتها الأساسية ودراسة الظواهر الفنية البارزة في شعره.9. رسالة ماجستير لوحيده ميرزائي تحت عنوان "شرح حال و برسي مضموني اشعار مريد البرغوثي" نوقشت سنة1393 في جامعة طهران.

لمحة من حياة مريد البرغوثي:

شاعر فلسطيني من مواليد دير غسانة عام 1944م، قرب رام الله، له أربعة عشر ديواناً شعرياً، وعمل روائي وحيد بجانب عدد من المختارات الشعرية. تلقى مريد البرغوثي تعليمه الثانوي في رام الله ثم التحق بكلية الآداب قسم اللغة الإنجليزية وآدابها في القاهرة حيث تخرّج فيها عام 1967م. درّس الإنجليزية في جامعات القاهرة والكويت ومارس الصحافة

السخرية في شعر مرید البرغوثي دراسة تحليلية نقدية

في مؤسسة إعلامية فلسطينية في بودابست، وهو قرين الكاتبة والناقدة الأدبية رضوي عاشور. وقد حصل على جائزة فلسطين في الشعر عام 2000م. كما ترجمت بعض أشعاره إلى الإنجليزية والفرنسية والإيطالية والألمانية والروسية والبرتغالية. وقد طاف البرغوثي معظم بلدان العالم، حيث قرأ شعره في محافل أدبية في معظم المدن العربية، وفي عواصم ومدن إنجلترا وفرنسا وإيطاليا وبلجيكا وسويسرا والبرازيل وإسبانيا وشارك في عدد كبير من اللقاءات الشعرية ومعارض الكتاب في العالم، وقدم محاضرات عن الشعر الفلسطيني والعربي في جامعات القاهرة وفاس وأكسفورد ومانشستر وأسلو ومدريد وغيرها. آخر إصداراته ديوان "منتصف الليل" طبعة دار رياض الريس، بيروت، لبنان 2005م، وقد صدرت ترجمته الإسبانية ديسمبر 2006.⁸

السخرية في اللغة

عرف ابن المنظور هذه الكلمة قائلا: سَخِرَ منه وبه سَخْرًا، وَسَخَّرًا، وَسُخِرًا، وَسِخِرًا، وَسُخِرًا وَسِخِرًا، أَي: هَزِيءَ به. يقال: سَخَرْت منه، ولا يقال: سَخَرْت به. قال تعالى: لا يسخر قوم من قوم. وفي الحديث: أتسخر مَنِّي؛ أَي أتستهزئ بي. والسخره الضحكة. ورجل سُخْرَةٌ: يسخر من الناس. ورجل سُخْرَةٌ: يسخر منه الناس.⁹

السخرية في الاصطلاح

من المهم الإدراك أنّ السخرية قبل أن تكون موضوعاً أدبياً ونقدياً هي في الأصل «انفعال نفسي يتشكل في وجدان الإنسان، وحالة قلبية تظهر مشاعر المنفعال، وتبلور على شكل حركات في وجهه، أو جوارحه، أو تتجسد كلمات وجملاً على لسانه»¹⁰ ولهذا نجد من الصعب تعريفها تعريفاً جامعاً مانعاً، لصلتها الشديدة بمعنى الانفعال والذي يعتبر متجدداً ومتغيراً، ولإرتباطها بوشائج عميقة مع مصطلحات أدبية أخرى كالفكاهة والتهمك والتندر، وهي أيضاً ميول عدوانية يكون مفعولها قوياً وشجاعاً واستثنائياً. مع ذلك يقول شوقي ضيف في تعريف السخرية: «السخرية أرق أنواع الفكاهة، لما تحتاج من ذكاء وخفاء ومكر، وهي لذلك أداة دقيقة في أيدي الفلاسفة والكتاب الذين يهزؤون بالعقائد والخرافات ويستخدمها الساسة للكناية بخصومهم، وهي حينئذ تكون لدعاً خالصاً، وقد تستخدم في رقة، وحينئذ تكون تهكماً».¹¹

الهدف من السخرية:

إنّ السخرية ليست للمتعة فقط، فصحيحٌ أنّ الشعر والأدب الساخر يسبب لك الضحك ويجعلك تُقهقه، ولكن هذه القهقهة تمتزج بالتفكير والإيمان. إذن نستطيع القول بأنّ السخرية هي أمثولات وعبر، ومواقف، وآراء جديرة بالنظر والتأويل.¹² فتنتطلق السخرية حينئذ تعويضا يعيد للمثل توازنها، وذلك عبر قهقهة عابثة، ينطلق دويها في ذروة الكشف العاري للحقائق، حيث يختلط الإحساس المفعج باللاهي، وفق وتيرة ضحك مأساوي يختلف عن رنين الفرح.¹³ تسير السخرية في اتجاه إيجابي بناء واتّجاه سلبي هدام، والهدم مرحلة حتمية في إعادة البناء. وأيا كان اتجاهها وشكلها فإنّ طعم القسوة هو نكهتها الخاصة. ولكن هذه القسوة ليست هي نفسها في كل مجالات السخرية، إذ تتفاوت درجة حدتها و قسوتها بحسب ما تقتضيه الظروف. فهي تبدأ بما يعرف بالغمز واللمز اللذين غالبا ما يردان في إطار من اللهو والظروف والضحك يبعدهما عن الإصابة المباشرة الجارحة، ويلطف وقعهما في النفس. هذا الوقع الذي يستشف استشفافا ويتفاوت بين شخص وآخر بحسب ذكائه وإرها حسه. ثم تقوى السخرية شيئا فشيئا حتى تصبح هوجاء، مهشمة، تنال من هدفها دون مواربة إذ لاتغفلها أجواء المرح، وعندها تسمى تمهما.¹⁴

1. أنواع السخرية:

السخرية في شعر الشعرا الكتاب ثلاثة ضروب، التي اصطلحنا على تسميتها بالسخرية الانتقادية، والسخرية العقلية، والسخرية الفكاهية.¹⁵

1.1 السخرية الانتقادية:

«السخرية الانتقادية، مصطلح اصطلحنا به على تسمية ضروب من الشعر الساخر على أساس الغاية لا الموضوع، لأسباب منهجية كنا قد عرضنا لها قليلا، وليكون على حظ من الشمولية يستوعب معها كل أنواع الشعر الساخر الذي يهدف إلى السخر من الظواهر المدانة في الحياة ونقدها من خلال أفراد بعينهم، أو جماعة بعينها، أو تقليد بعينه، سواء أكانت هذه الظواهر المنقودة، المسخور منها، أم جماعية، أم سياسية، أم أدبية، أم سلوكية شخصية.»¹⁶

2.1 السخرية العقلية:

«إن ظهور ما يمكن أن يسمى بالسخرية العقلية لا يمكن عزله بحال عن البيئة الفكرية في هذا القرن، الاعتزال ومنهجه العقلي، ولقد كان المعتزلة يحسون بأنهم من طبقة أخرى غير طبقات الناس المادية وقد كان هذا الإحساس يدفعهم في كثير من الأحوال إلى

السخرية في شعر مرید البرغوثي دراسة تحليلية نقدية

السخرية من الناس والتهمك بهم، ولكنهم كانوا حينما يسخرون أو يتهمون، لا يصدرون في ذلك عن أحقاد شخصية، أو ضغائن ذاتية، على نحو ما كان الأمر في ظاهرة الهجاء في الأدب العربي، ولكنهم كانوا يصدرون في ذلك عن فلسفة خاصة، قوامها العطف على الناس، وتوجههم إلى عيوبهم حتى يصلحوها، فالتهمك عند المعتزلة هو نوع من الترقية لفن الهجاء في الأدب العربي، والتسامي به عن أن يكون صدى لعدوات شخصية ووسيلة إلى التشفى والانتقام، فهم حينما يتهمون ينتقدون ويضحكون، ولكنهم لا يحدون ولا يكرهون، ولهذا فقد كان بخل البخلاء مجالاً من مجالات التهمك والسخرية التي افتن فيها المعتزلة وأبدعوا.»

17

3.1 السخرية الفكاهية :

«وهي السخرية التي قصدها الإضحاك والتفكه ترويحاً من النفوس المتعبة، وتنفيساً عن آلامها، وليس لها بعد هذا قصد آخر، وهي بهذا أقرب إلى المزاح الذي ينضب عن النفس ما طراً عليها من سأم، ويزيل ما علق بالقلب من همّ. وقد أكدّ قيمة هذا الضرب من السخرية في حياة الناس، وضرورة تذوق النفس الفرح الهزل والتندر والهزل إذا ما علق بها فم الجد وأرخصتها متاعب الحياة، فيقال إياك أن تعاف سماع هذه الأشياء المضروبة الهزل، الجارية على السخف، فإنك لو أضربت عنها جملة لنقص فهمك، وتبلد طبعك...»¹⁸

السخرية في الشعر المعاصر

إنّ الشعر في العصر الحديث في العالم حافل بالصّور الساخرة، لأنّ هذا الأسلوب لم يكن لتُوجده ظروف الأمن والإستقرار التي يستطيعها الإنسان، فتجعله ينعم بالرضى وراحة البال؛ «قد عانى الإنسان المعاصر مشاكل عديدة نابعة من تركيبة المجتمع الذي تسوده المفارقات والصّراعات السياسية والإجتماعية، كما عانى ويلات الاستعمار الأجنبي من قتل ونهب ومحاولة طمس المعالم الحقيقية للشخصية العربية، أضف إلى ذلك فساد الأجهزة السياسية الحاكمة في البلاد العربية وتخاذل الحكام العرب في حل قضايا المواطنين وهمومهم»¹⁹ فكانت آلامه ومعاناته مادة دسمة شكّلت محتوى الأدب العربي الساخر شعراً ونثراً، ففي العصر الحديث نرى أنّ السخرية ذات أثر فوري، لا توازي الفعل القتالي المواجه الساخن لردّ الأفعال الخسيسة «لكنها أدوم في اختراقها حواجز الآن»²⁰ «وكانت لفن السخرية تطوراتها المختلفة وفي الظروف السياسية والإجتماعية»²¹ وقد استطاع الشعر الساخر المعاصر أن يفعل فعله في الحياة الإجتماعية والسياسية، أن ينهض بمهمة النقد والتعريه

والفضح، فترى أن أسلوب السخرية، يعكس رسالة إنسانية، ويعبر عن قيمة فنية تستطيع أن تسهم في صياغة الوجود بكل مفرداته. فالسخرية في الشعر المعاصر كأداة مقاومة شعبية ثقافية ضد القمع والإضطهاد والقهر الاجتماعي والسياسي، تصبح -كفن شعبي- أكثر إضاءة في وجدان الجماهير، وأكثر تفجراً لمعاناتها وشقائها وأحلامها المقتولة، وهي بذلك «تواجه الإحتلال اليومي بتفاصيله الدقيقة، ويستخدم هذا الفن في التوعية الإجتماعية والسياسية. ضمن قاعدة شعبية-فلكلورية مشهورة: إذا كبرت مصيبتك اضحك عليها. وهو ضحك مسؤول، إذا جاز التعبير، يه من البكاء المرّ ما فيه، محبوساً إلى حين»²² وبرزت في هذا المجال أسماء وأقلام عديدة نذكر منها الشاعر الفلسطيني مريد البرغوثي الذي جعل شعره منبرا لرفض الواقع العربي، بطريقة ساخرة جعلها أسلوبه الخاص في معالجة قضايا الأمة.

2. السخرية في شعر مريد البرغوثي:

يُعدّ مريد البرغوثي من شعراء المنفى والتحدّث عن فلسطين كما يمثّل جزءاً كبيراً من مجهوده الأدبي بل فلسطين هي بطلة كتبه، إنّها موجودة تحت كل سطر من أشعاره. تُعتبر السخرية الأداة التي استطاع البرغوثي الإستعانة بها لنقل أفكاره واستيائه من الأوضاع المؤلمة في الأراضي المحتلة. فيضاهي قلمه سيفاً حاداً يقطع رقاب الآلام والأحقاد والظلم؛ من ثمّ يصبح بذلك مرهماً لالتئام جرح المظلومين الذين يتجرّعون كؤوس الألم والشقاوة حتّى الثمالة. لاتقتصر السخرية في شعر البرغوثي على اللهو والضحك؛ بل هي تجسّد الواقع المرّ الذي نشأ فيه الشاعر وجربته مراراً وتكراراً؛ فأصبحت بذلك في يده أداة للمكافحة والنضال. تنقسم السخرية في شعر البرغوثي إلى ثلاث إتجاهات رئيسية:

1.2 السخرية من النفس (الأنأ) والشعور بالإغتراب:

الإتجاه الأوّل في الخطاب التهكمي في شعر البرغوثي ينعكس في الأنأ الفلسطينية. الأنأ التي نقصدها هنا، «تفارق اجتماعيّتها مفارقةً تكاد تكون مطلقة، متخلّصة بذلك من الكثير من عوالمها الرومانسية العاطفية التي تُغرق القصيدة بمياه غير صالحة للشعر، فضلاً عن رفعها إلى مستوى الخيال الشعري الحرّ»²³ والغربة هي «النزوح والبعد عن الأوطان لأسباب سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية أو دعائيّة»²⁴ وشعرُ الغربة تطلق على «كلّ قصيدة تعكس صورة الإنسان النفسيّة وهو مبعّد عن وطنه قسراً أو اضطراراً، حيث تكون نفس الشاعر من خلال قصائده مضطربة بين البقاء في ديار الغربة، والحنين إلى أرض

السخرية في شعر مرید البرغوثي دراسة تحليلية نقدية

الوطن؛ وقد يجيء هذا النوع نتيجة معاناة الشاعر بعيداً عن وطنه الأمّ، فالشاعر المغترب يعكس صوته حقيقةً من خلال دعوات صريحة للاستقرار وطلب الأمان، واتّقاء شرّ الغربة.»

25

تعتبر قصيدة "الترويض" من القصائد الرائعة التي يحولها البرغوثي إلى مسرح تهكّمي ويحمل مسؤولية معاناة المواطن الفلسطيني إلى نفسه. يستغرب الشاعر في بداية القصيدة معرفة نفسه بعد العراقيل التي حلّت به فيصف نفسه في حالة مزرية يُرثى لها كأنّه أصبح إنساناً غير مألوف بلا هوية ويجد أنّ كلّ شيء في حياته فقد معناه تماماً؛ فهنا يشبّه نفسه بشجر يرتقب سطوع الشمس كلّ عام بيد أنّ العصي الطويلة تحول دون وصول نور الحياة إليه وتُبيد ما اخضرّ من أغصانه وتدوس على خصاله وأوصاف قلبه بقساوة بالغة؛ فهو يدخل في حالة صراع نفسي مع ذاته الفارقة لهويّتها:

تَغَيَّرْتُ مِنْ بَعْضِ قَرْنٍ إِلَى الْيَوْمِ / مَا عُدْتُ نَفْسِي. / قَطَعْتُ الْمَسَافَةَ بَيْنَ ابْتِدَائِي
وَانْتِهَائِي بِغَمَضَةِ عُمُرٍ / وَمَا أَغْمَضَ الرَّكَضُونَ وَرَائِي / وَكَانَ اشْتِهَائِي فِضَاءً / وَلَكِنِّي سِرْتُ
نَحْوَ الشَّرَاكِ! / أَنَا الشَّجَرُ الْمَشْرُوبُ إِلَى مَطْلَعِ الضُّوءِ / جُنْتُ عَلَيَّ الْعَصِيَّ الطَّوِيلَةَ / تَضْرِبُ
أَعْضَائِي الْخُضَرَ عَاماً فَعَاماً، فَتَسْقُطُ عَنِّي خِصَالِي وَأَوْصَافُ قَلْبِي، /²⁶

ولكننا لو أمعنا النظر في صورة، لنجد أنّه، وإن وضع نفسه في صورة مثيرة للإحتقار، فهو يتكلّم عن نفسه فحسب بل يمثل حالة إجتماعية تعبر عن الفرد عن المجتمع بأكمله.

يستمرّ الشاعر في هذه القصيدة خطابه التهكّمي وسرعان ما يصوّب المحتلّين بسهام نارية:

هَمَّ حَدُّوْكَ / كَأَنَّ الْفِرَاقَ حَوَالِيكَ سَوْرٍ / وَقَدْ حَاصِرُوكَ كَأَنَّ الْخَلَاءَ حَوَالِيكَ يَوْمَ
النَّشُورِ / وَقَدْ أَفْرَدُوكَ كَأَنَّ الْبِلَادَ خَلَّتْ مِنْ سِوَاكَ! / وَمَا زِلْتَ تَسْتَهْجِنُ الْحَادِثَاتِ / وَتَبْكِي
كَطِفْلِ نَجَا بَعْدَ مَوْتِ ذَوِيهِ. /²⁷

يخاطب البرغوثي وطنه المحتلّ ويُناجيه بأسى عميق. كم نشمّ رائحة السخرية اللاذعة في هذه العبارات! بما أنّ الشاعر يصوّر العدى المحتلّين بالقاحطين الذين هجموا على فلسطين ولم يتنازلوا عن مقاصدهم المشؤومة قطّ؛ كأنّ العالم خلاء من أيّ بلد غيره! وكأنّه يوم النشور! بيد أنّ فلسطين لا يقدر على أن يستوعب هذه الإجراءات الهمجيّة من

العدو ويستنكرها كطفل شقيّ فقد والديه وبقي وحيداً في هذه الدنيا بأسرها بلا ملجأ ولا أسرة.

أَيَقِظُوا حُرْنَكُمْ، أَيَقِظُوهُ! / أَيَقِظُوا حَزَنَنَا! / أوقفوه على قَدَمَيْهِ / أسنوده وهزّوه في قَسْوَةٍ / أو حنانٍ / أسنوده وهزّوه في قَسْوَةٍ! أو حنانٍ / خُدوه إلى الماء من نومه / واغسلوا وجهه / واحلقوا ذقنَهُ / شَدَّبُوا شَارِبِيَهُ / وهاتوا ملابِسَهَا عن علائِقِهَا / ساعدوه لكي يَرْتَدِيهَا / ووقولوا له / لَمْ يَعُدْ عِنْدَنَا ما نُقَدِّمُهُ لَكَ / قولوا له / لَمْ يَعُدْ عِنْدَكَ الآن شيء لناخُذَهُ / أوصلوه إلى الباب في قَسْوَةٍ أو حنانٍ / ووقولوا له نِمْتَ فينا طويلاً / تُشِيْعُ البرودة في الرّوح / تُلْهِمِي الصبِيَّ عن اللّهُو، تُلْهِمِي العجوز عن / التُّرْتِراتِ / وتُلْهِمِي الفتاة عن الإنحراف الجميل / تُشَاغِلُنَا بالكثير القليل / تشوّشنا بالخطر الهزّيل / تشلّ أصابعنا ثمّ تغفو / وقد نِمْتَ فينا طويلاً / وهذا أوان الرّحيل! / ادفعوه إلى خارج البيت في قَسْوَةٍ / أو حنانٍ / إذا ما استطعتم²⁸

يُجيد الشاعر في هذه الفقرة الشعرية، رسم صورة ساخرة مفعمة بالمرارة عن الحزن الذي خيم على حياة النّاس كأنه طفيليّ إلتصق بهم، يستضيف أنفسهم، يحصل على قوته من الفرح في قلوب مضيفيه ويقضي عليه تماماً؛ وقد تسبّب مكوثه الطويل في إنعدام الأمل وفقدان رغبة النّاس في القيام بأنشطتهم اليومية التي تعبّر عن معنى حياتهم فنرى الطفل لم يعد يلعب والعجوز قد كفّ عن ثرثرته المعتادة والفتاة لا تحلّم بما يستحيل حدوثه. يوجّه الشاعر هنا خطابه اللّومي المتهمّك إلى العدو الجائر الذي هجم على فلسطين واحتلّها كطفيلي لا يراعى حقوق مواطنيه الحقيقيين. فينبغي لهؤلاء النّاس برمتهم، القيام والمكافحة والنضال ضدّهم بقصارى جهودهم لكي يطردوهم من هذا البلد.

2.2 السخرية من قادة العرب:

إنّ تحويل المأساة أو الوضع البائس إلى مادّة فكاهية قد أصبح ظاهرةً شائعةً في شعر مرید البرغوثي فلماذا تُعتبر السخرية في أشعاره سلاحاً فعّالاً لتوجيه النقد ضدّ لامبالاة قادة البلاد العربية وتسامح القوّات تجاه القضية الفلسطينية ولاشكّ أنّه يهدف بهذا الأسلوب قلب المآسي والألام إلى مادّة تستدعي الإبتسام من ناحية وتجرح القلوب من ناحية أخرى، تقود النّاس إلى حراك نحو التغيير الثوري أو الإصلاح على الأقلّ وتفريغ شحنات الغضب الكامنة في نفوسهم. سخر البرغوثي من الحكام العرب لجهلهم وتقاعسهم ونعتهم نعوتاً نشمّ

السخرية في شعر مريد البرغوثي دراسة تحليلية نقدية

منها رائحة السخرية اللاذعة وتوجّه بخطابه اللومي إلى قادة العرب اللذين خضعوا للأجنبي وخضعوا لتنفيذ أوامره بكل سهولة:

وتَسْمَعُ عَبْرَ المسافات من غابةِ النَّاسِ صوتاً/ تَصِيحُ: هو الصوت! لكنّما/ يجيء
مروّضك المتبرّج/ بالسّوط والسكّر الماكر الطعم/ والزركشات المضيئة/ في ضجة
العازفين/ وفي بهجة المذبحة:/ على عُقَي التمر سلسلة من ذهب!/ على لبدة السبع شال
الحرير!/ على قَدَم الفهيدِ خَلْخَالِ فِضّة!/ تساقطت الآن كلّ الصفات عن الوحش/ إذ
أتقن الركض بين الإطارات/ حتّى تمكّن هذا المروّض أن يعلّيه./ فما عادَ في قاعة الضوء
وحشاً/ وإن عادَ للغاب/ أضحى فريسةً من يشتهيهِ!²⁹

تعكس هذه الفقرة الشعرية مدى إستهزاء الشاعر بتقاعس العرب تجاه القضية الفلسطينية وسكوت القادة عن المؤامرة ضدّ هذا الشعب الملهوف بلهجة شديدة ملؤها الحزن والمرارة. فيصهفهم بحيوانات مفترسة في الغابة يتشرّقون باسم المساعدة إلا أنّ كلّ هذا ليس إلّا مجرد هُراء يجري على ألسنتهم ولن يتحقّق أبداً. تبلغ هذه السخرية ذروتها عندما تصير هذه الحيوانات ألعوبةً بيد القدرات الأجنبية التي تروّضهم كما تشاء لتفقدوا قدراتهم على تديير شؤون البلاد ويخدعهم بالمال والإكسسوارات؛ كأنّها مجرد حيوانات تعلق على أعناقها وأقدامها الذهب والفضّة في السيرك وتلعب دورها بكلّ ما أوتيت من قوّة تحت إشراف المروّض لتثير ضحك مشاهديها!

الكوكاكولا، تشيزمانهاتن، جنرال موتورز،/كريستيان ديور، ماكدونالد، شل،/دايناستي، هليتون انترناشيونال، سانجام،/كنتاكي فرايد تشكين، الغاز المسيل للدموع/والهراوات، والمباحث.../قال ابن الخلدون:/ هذه مقومات الدّولة عند العرب³⁰ للشاعر الساخر مريد البرغوثي قصيدة حرة بعنوان (مقومات) يشير في هذه القصيدة بذكاء إلى إهدار المال العربي على المنتجات الاستهلاكية ويصور كل أحلام القادة العرب بل الشعوب العربية بأنّها مجرد ممتلكات هالكة تذهب لدورات المياه أو لمكبات الحطام أو للمقابر يسخر من أمة لاتقدم للعالم إلا ماتشهي وتشترتي دون منظومة علمية أو حتي نسق أخلاقي. القصيدة إختصرت مقومات العالم العربي الراهن في قائمة من المصنوعات والمستهلكات العصرية والمطاعم والسيارات والعطور والاحذية والاكسسوارات وادوات القمع والتكبير.

طال الشتاتُ وعافَتْ حَطُونَا المَدُنُ وَأَنْتَ تُمْعِنُ بَعْدَ أَيِّهَا الوَطَنُ
 كَأَنَّ عِشْقَكَ رَكُضٌ نَحْوَ تَهْلُكَةٍ وَنَحْنُ نَرَكُضُ لَا نُبْطِي وَلَا نَهِنُ
 يقول من لم يجرب ما نكأه كَأَنَّ أَجْمَلَهُم بِالْمَوْتِ قَدْ فُتِنُوا
 ولو حكى الموت بالفصحى لصاحِ بنا كفى ازدحاماً على كفى واتزنوا
 يهوي الشهيد وفي عينه حيرتنا هل ماتَ بالنَّارِ أم أودى به الشَّجَنُ³¹

لا توجد قصيدة أبلغ من "طال الشتات" لمريد البرغوثي في تلخيص قصة الشتات الفلسطيني ومكابدات اللاجئين والغربة القسرية المفروضة عليهم بإشارت ساخرة. في هذه الفقرة الشعرية خلاصة مريرة لواقع الفلسطيني اللاجئ الذي يعاني من الغربة والتشريد في المنفى رغم ذلك يحتفظ بنضاله ضد الإستعمار وإيمانه الراسخ في الرجوع إلى بلده مهما طال الإبتعاد وتدهورت الأوضاع النفسية والإقتصادية و السياسية عليه. تتجلى السخرية من البيت الثاني كَأَنَّ الشاعر يوجّه هذا السؤال مراراً وكراراً: ما السرّ الذي يكمن وراء اندفاع الفلسطينيين المستمرّ والدائم نحو التّضحية والتهلّكة وعدم تكاسلهم رغم أنّهم لم ينجزوا أيّ نجاح في الوصول إلى وطنهم وطرد الصهاينة عن أراضيهم المسلوّبة؟ فلا بدّ أنّهم أُغرموا بالموت الذي لو كان ناطقاً لكان يصرخ في وجوههم زاجراً: كفى! لا تزدهموا حولي أيّها النّاس! أتركوني وشأني! وحتىّ إذا استشهد أحد المواطنين لا يتّضح أنّه فارق الحياة بنار العدو أو الأحران التي إنتابته من كلّ جهة قاصدة الإيداء بحياته وليست هذه الأحران سوى لامبالاة المجامع الدولية والقدرات العربية تجاه القضية الفلسطينية.

يستأنف الشاعر سخريته من قادة البلدان العربية بعد عدّة سطور قائلاً:

وفي الرِّيحِ تَخْفُقُ رايَاتُ عشرين مملكةً للعرب!

وطلَبْنَا جُرْعَةَ المَاءِ فَقَالُوا نَحْنُ شئْنَا لَكِنِ المَاءِ أَبِي
 وطلَبْنَا الخُبْزَ قالوا قَدْ عَجْنَا وَعَفَلْنَا فَتَسِينَا الحَطْبَا
 وطلَبْنَا فِي انْقِطَاعِ الضَّوِّءِ شمعاً نَصَحُونَا أَنْ نُضِيءَ الكَهْرِبَاءِ!
 وطلَبْنَا سيفَهُم قالوا اعذرونا كُلُّ سَيْفٍ فِي أَيْدِينَا نَبَا

غَيْرَ أَتَمَّ عِنْدَمَا جِئْنَا إِلَيْهِمْ، عَن طَرِيقِ الْبَحْرِ، صَاحُوا مَرْحَبًا!

عجبي!³²

ما أشدَّ السخرية في هذه الأبيات الشعريّة وهي تترجم آلام الشاعر ومواطنيه! كما ترسم جوّاً مأساوياً عن المعاناة المعيشية للاجئين. يستعين الشاعر بكلمات الماء والخبز والضوء ليعبر عن عدم تمتّع اللاجئين بأصغر حقوقهم الطبيعية وأبسط مقومات الحياة في الشتات؛ فهم يُحرمون من الماء والطعام والضوء وعندما يستمدّون قادة الدّول العربية، فهم لا يحركون ساكناً ويختلقون الأعداء ويتحجّجون بظروف مزيفة مثيرة للضحك! أفضعها أنّ المواطنين يشكون من انقطاع الكهرباء في مبيتهم ويطلبون الشمع- أبسط وأرخص شيء يُستخدم للإضاءة- إلا أنّهم يرفضون هذا الطلب وينصحونهم بأن يُضيؤوا الكهرباء! وكأنّ المواطنين فقدوا عقلهم وما يعترضون عليه، مجرد هُراء ينطلق على ألسنتهم. تبلغ السخرية ذروتها عندما ينفذ صبر اللاجئين ويطلبون من هؤلاء القادة الجبان بعض الأسلحة، فيعتذرون إليهم قائلين: هذه السيوف التي ترون، مفلولة لا تُصلح للتضال!

2.3 السخرية من فقدان حرّية التعبير عن طريق "المفارقة":

يُعتبر توظيف المفارقة من أهمّ الأساليب فاعليّة للنيل من الأعداء. تُعرف المفارقة بأنّها «إستراتيجية قول نقديّ ساخر، وهي في الواقع تعبير عن موقف عدوانيّ، ولكنّه تعبير غير مباشر يقوم على التورية.»³³ قد أصبحت المفارقة سمة العمل الحديث الأساسيّة وهي رؤية من الخطاب تحتوي على رؤية للعالم خلافية ودرامية في الغالب، تعني قول المرء نقيض ما يعنيه، أو أن تقول شيئاً وتقصد غيره. وفقد تكون السخرية في هذه الحالة بمثابة «عمل إجتماعيّ ونفسيّ يحقّق التوازن المفروض أن يكون بين الإنسان وبين مجتمعه، وبينه وبين نفسه، فتيح الراحة والسعادة للفرد وتطمئن المجتمع إلى بقائه.»³⁴ لا تخلو أشعار البرغوثي من المفارقة؛ فمن أهمّ دوافع اللجوء إلى السخرية عنده، الوقوف على جراحات الشعب الفلسطينيّ ومعاناتهم الإجتماعية بما فيها فقدان حرّية التعبير وهذا ما نجده في قصيدته الرائعة تحت عنوان "دقائق":

الباب الذي يأتيك منه الرّيح/ إفتحته لتستريح!/ -العازف يأتّمر بأمر قائد الأوركسترا/ قائد الأوركسترا يأتّمر بأمر المؤلّف/ المؤلّف يأتّمر بأمر الحياة/ الحياة هي الأمر!/ جمال المرأة لا يرى/ إنّه يكتشف/ صدق البعض مع البعض فلم يتفقوا/ بعد عام/

كذب الكلّ على الكلّ وحلّوا المشكلة!/-التنقيط المنتظم من الصنبور التالف في ركن العنبر/ كاد يُفقد السّجين صوابه/ بعد شهرٍ/ عندما جاء السّبّاكون لإصلاحه/ صاح بهم:/ أتركوه ينقُط... أرجوكم/³⁵

يرسم الشاعر هنا صورة ساخرة عن فقدان المواطن الفلسطيني حريّة رأيه أمام الحكّام الظالمين عندما يجد نفسه عاجزاً عن بيان شعوره الحقيقي تجاه ما يجري في بلاده. في البداية يدعو الشاعر هذا المواطن الذي إنثنت ركبتاه إثر مكابدات الحياة، إلى فتح الباب أملاً بأن يحصل على قسطٍ من الرّاحة المفتعلة ولو دقائق؛ إلا أنّه سرعان ما يصدم بعد ما تكشف له الأحداث التي تخيّب ظنّه في بلاده أكثر فأكثر وأبشعها هو الكذب والنفاق والمؤامرة وسرعة مفعولها في حلّ المشكلات وفي المقابل أصبح البحث عن الصّدق كالبحث عن الإبرة في كومة قشّن! مثل سجين لا يتحمّل سماع صوت التنقيط المستمرّ من الصنبور ولكن لا بدّ له ألا ينبس بنت شفة مخافة التعذيب و الأعمال الشاقّة؛ فيصبرّ نفسه ويعتاد على هذه المشكلة يوماً بعد يوم فعندما يأتي السّبّاكون لإصلاحه يلتمسهم بأن يتركوه وشأنه! فهنا يعتمد الشاعر على المفارقة في عرض هذه المشكلة الإجتماعية ومن ناحية أخرى يتوجّه بلومه إلى مجتمعه الذي تعود مع مضيّ الزمان على التصرفات السيّئة والذل والمهان من جانب القادة حتّى لم يجد حلاًّ بديلاً سوى التبيّي والتقليد الأعلى!

ألمس أحوالي... لا مشكلة لدي/شكلي مقبول. ولبعض الفتيات/أبدو بالشعر الأبيض جذابا/نظاراتي متقنعة/وحرارة جسي سابع وثلاثون تماما/وقميصي مكوى وحذائي لا يؤلمني/لامشكلة لدي/كفائي بلا قيد ولساني لم يسكت بعد/ لم يصدر ضدي حكم حتى الآن/ولم أطرّد من عملي/ مسموح لي بزيارة من سجنوهم من أهلي/وزيارة بعض مقابريهم فيبعض البلدان/لامشكلة لدي/لايدهشني أن صديقي أنبت قرنا في رأسه/وأحب براعته في إخفاء الذيل الواضح تحت ملابسه/وهدوء مخالبه يعجبني/قد يفتك بي، لكني سوف أسامحه فهو صديقي/وله أن يؤذيّني أحيانا/لامشكلة لدي/ما عادت بسمات مذيّع التلفزيون تسبب لي أمراضا/وتعودت على توقيف الكاكين لألواني/ليلا ونهارا. ولهذا /أحمل أوراقى الشخصية حتى في المسيح/لامشكلة لدي/ أحلامي ركبت، أمس قطار الليل/ولم أعرف كيف أودعها /وأنتني أنباء تدهوره في واد ليس بذى زرع/فحمدت الله، / ولم أبك كثيرا/فلدي كوايبس صغرى/سأطورها، ان شاء الله، إلى احلاك كبرى/لامشكلة لدي/ألمس أحوالى منذ ولدت الى اليوم/وفي يأسى أتذكر/ أن هناك حياةً بعد

الموت/هناك حياة بعد الموت/ولا مشكلة لدي/لكني أسأل:/يا الله:/أهناك حياة قبل الموت؟³⁶

يبدأ الشاعر قصيدته بقوله لا مشكلة لدي، وهو تعبير يوحي بأن الشاعر يشعر بالرضى وبأن حياته خالية من المشاكل، فهو مقبول الشكل، لكن إذا تابعتنا قراءة القصيدة نكتشف أن هذا العنوان محاولة لإخفاء ما يعانيه الشاعر من آلام و مشاكل عميقة وهنا نستطيع ان نلاحظ المفارقة بين ما هو مكتوب وما يحاول الشاعر عدم البوح به والتعبير عنه، ومن أبرز نتائج معاناة الشاعر هي سخريته من منطق الحياة والأشياء وكأنه يقول ما أسعدني بوجود فرصة لزيارة أهلي المسجونين أو الأموات فهي مفارقة تصل إلى حد التهمك من كل شيء في هذه الحياة. فهم غرباء في وطنهم، غرباء في موتهم. وفي المقطع التالي، تعلقو نبرة السخرية من جديد، يقول الشاعر:

ما عادت بسمات مذيع التلفزيون تسبب لي امراضا/وتعودت على توقيف الكاكين لألواني/أحمل أوراقى الشخصية حتى في المسيح /لا مشكلة لدي:

ينتقد الشاعر بطريقة ساخرة تعاطي وسائل الإعلام مع المآسي في العالم من خلال قيامها باستغلال هذه الأحداث لتحقيق الربح المادي. في هذا المقطع لا يحاول الشاعر أن يسخر من انسان يحمل أوراقه الشخصية في المسيح ولكنه يسخر من قدرة الكاكين العجيبة على الوصول اليه في أي مكان كان حتى لو كان في المسيح من دون سابق انذار ولايستطيع اي عائق أن يقف في طريقهم وعلى الرغم من كل ذلك فليست لديه أي مشكلة...
3. أساليب السخرية في شعر مرید البرغوثي:

يستمدّ البرغوثي من أساليب مختلفة في التعبير عما عاناه الشعب الفلسطيني من ظلم وجور وسياسات تكميم الأفواه وتعذيب بشعة في السجون الغاشمة محاولاً إلباس نصّه الشعري رداءً جديداً من السخرية مليئاً بالصناعات الأدبية: فنرى جانباً من هذا في شعره "الترويض" حيث يشبه القوّات الأجنبية المتغترسة التي تطمع في اغتصاب فلسطين بمرّوج السيرك كما يشبه قادة العرب بحيوانات مفترسة في الغابة، جعلته العدوّ ألعبوبة بيده، فأصبحت كحيوانات السيرك، فاقده قدراتها على تدبير شؤون البلاد، تعلق على أعناقها ورؤوسها الذهب والفضّة وتمثّل دورها كما تريد المرؤّص:

يجيء مرؤّصك المتبرّج/ بالسوّط والسكر الماكر الطعم/ والزركشات المضيئة/ في ضجة العازفين/ وفي بهجة المذبحة:/على عنق النمر سلسلة من ذهب!/على لبدّة السبع

شالُ الحرير! / على قَدَمِ الفهدِ خَلْجَالُ فِضَّة! / تساقطت الآن كلّ الصفات عن الوحش /
إذ أتقن الركض بين الإطارات / حتّى تمكّن هذا المروّض أن يعتليه. / فما عادَ في قاعةِ
الضوءِ وحشاً / وإن عادَ للغاب / أضحى فريسةً من يشتهيها! /

كما يعتمد على التشخيص في التعبير عن شدة الوضع المأساوي الموجود في فلسطين
لكلّ مناضل مُستमित يضجّ بنفسه ويدافع بقصارى جهده لطرد الصهاينة من وطنه
المسلوب فيستشهد؛ فما على الشاعر إلا أن يعامل الموت معاملة انسان فاتن، يزجر من
ازدحام كلّ من أغرم به ويطالب بأخذه معه:

ولو حكى الموت بالفصحى لصاح بنا كفى ازدحاماً على كفي واتزنوا

من الصناعات الأدبية الأخرى في شعره:

1.3 التكرار:

يعد التكرار من أبرز سمات شعر البرغوثي، فقد كان مهتماً بالتعبير عن أفكاره من
خلال استخدام كلمات قليلة جدا تحمل إichاءات ودلالات عديدة وقد كان العنوان هو
المكان الأنسب للتعبير عن هذه الأفكار والإichاءات. فقد كانت عناوينه هي كلمة السر
لدخول عالمه الشعري الغامض فقد أتاحت له الفرصة الأكبر للتوقف عند الكثير من
الأشياء دون خوف من أن ينفرط عقد النص من بين يديه. فقد استخدم الشاعر جملة
العنوان " لا مشكلة لدي" ثماني مرات، بالإضافة إلى العنوان، ولقد وردت دائماً في نهاية كل
مقطع شعري؛ باستثناء المقطع الأخير.

2.3 التورية:

في المقطع التالي يوظف البرغوثي التورية، والتورية باختصار هي « أن يرد لفظ في
الكلام له معنيان: قريب وبعيد. والقريب منها لايلثم السياق فهو غير مقصود وهو المورى
به، أما البعيد أو المورى عنه فيلائم السياق وهو المقصود.»³⁷ يقول الشاعر:

لايدهشني أن صديقي أنبت قرنا في رأسه / وأحب براعته في إخفاء الذيل الواضح
تحت ملابسه / وهدوء مخالبه يعجبني / قد يفتك بي، لكنني سوف أسامحه فهو صديقي /
وله أن يؤذيني أحياناً / لامشكلة لدي

إن لفظة "قرن" هنا تحمل معنيين: الأول وهو القريب (قرن الحيوان) وهو غير
مقصود، والثاني وهو البعيد (رمز في الثقافة العربية على من لا شرف عنده)، والشاعر

السخرية في شعر مرید البرغوثي دراسة تحليلية نقدية

من خلال منطق التهكم الذي يرى به الأشياء لايندهش من تحلي صديقه بهذه الصفات، كما لانندهش نحن من مثل هذه الصداقة بينهما.

3.3 المفارقة:

«المفارقة " قول عكس المضمّر" يتضمن معنى التناقض بين المظاهر والجواهر، أو بين المظاهر بعضها والبعض الآخر، أو بين الإنسان والمجتمع... إلخ»³⁸ يبدأ القصيدة بتعبير "لامشكلة لدي" وهو تعبير يوحي بأن الشاعر سعيد وبأن حياته بلا مشاكل، لكن قراءة السطور التالية تكشف أن هذا العنوان خدعة، فالمسكوت عنه هنا أقوى من المكتوب، فالشاعر يعاني من الألم ومشاكل عميقة داخلية، وهنا تتجلي المفارقة بين المكتوب والمسكوت عنه، كما تتجلي المفارقة بين الظاهر والخفي داخل الشاعر.

3.4 استعمال صيغة الأمر أو الإستفهام:

تعدّ صيغة الأمر من الأساليب التي يبرز في خطاب البرغوثي التهكمي مثل (أيقظوا/ أوقفوه/ أسندوه/ هزّوه/ خذوه...) ليلانم غرضه في التعبير عن موقفه الرافض للعدو الصهيوني؛ فيظهر كحكيم يسخر من مخاطبيه في الظاهر إلا أنه يسعى إرشادهم إلى هدف قيم في صورة غير مباشرة. في البداية يعظ الناس بأسلوب إنشائي طالباً منهم بأن يشمروا عن ساعدهم ويتردوا الحزن الذي خيم على حياتهم كطفيلي إلا أنه في حقيقة الأمر، يوجّه خطابه اللومي إلى العدو الغاشم الذي طال بقاءه في أراضي فلسطين بيد أن مواطنيه الحقيقيين اضطروا إلى اللجوء إلى الدول العربية المجاورة وحرّموا من الدخول في فلسطين وحتى التمتع بأبسط حقوقهم الإنسانية في الشتات؛ فأصابت أجسامهم وأنفسهم الكآبة والحزن كما فقدوا رغبتهم في ممارسة الفعاليات اليومية الاعتيادية. في اعتقاد الشاعر قد حان وقت النضال والخروج عن هذا الحزن:

أيقظوا حزنكم، أيقظوه!/ أيقظوا حزننا!/ أوقفوه على قدميه/ أسندوه وهزّوه في قسوة/ أو حنان/ أسندوه وهزّوه في قسوة! أو حنان/ خذوه إلى الماء من نومه/ واغسلوا وجهه/ واحلقوا ذقنه/ شدّبوا شاربته/ وهاتوا ملابسها عن علائقها/ ساعدوه لكي يرتديها/ وقولوا له /لم يعد عندنا ما نُقدّمه لك/ قولوا له/ لم يعد عندك الآن شيء لناخذُه/ أوصلوه إلى الباب في قسوة أو حنان/ وقولوا له نمت فينا طويلاً

كما يتمنى ألا يترك مواطنيه الحلم ولا يفقدوا الأمل مهما يكن من أمر لأنّ الآن الوقت ضيق أكثر ممّا يتصوّرون بل عليهم أن يكرسوا جميع طاقاتهم ومساعي جهودهم في طرد الصهاينة قبل أن يبلغ السيل الرّبي:

في الزمان المرّج أدخلوا في التّعّب/ في الزّمان الكسيح، أدخلوا في السّباقي، في الزمان الرّجّاج أدخلوا في الحجارة/عودوا لأحلى السّندجات/«يسقط! يعيش!»/اجفلوا/ لا تلوموا الّذي لا يلام/ ولا تتركوا الحلم يرّجف برداً/ بهذا العراء فيفتي... إذا ما استطعتم/إذا ما استطعنا!

الخاتمة:

من أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة ما يلي:

1. تتجلى السخرية الإنتقادية في أشعار مريد البرغوثي، شاعر المنفى الّذي انتابه الضيق والقلق بعد نكسة فلسطين إلا أنّه كان مؤمناً بقدرات شعبه الملهوف على المقاومة والتّحدّي؛ فصور هذا الإيمان القويّ في شعره وخلقّ شمعة ضوء شامخة معاكسة لمجمل الظلام الّذي لفّ الشعور العربي آنذاك وكان هذا الإتّجاه بمثابة افتتاح عريض على التّفاؤل ودعوة لإغلاق أبواب اليأس والكآبة. فأخذ يواصل مسيرة المقاومة على صعيد الكلمة بسخرية سوداء تغوص في المرارة والسخط والثورة؛ كما تنبع من الكشف عن عبثية الواقع ورفع معنويات من يناضل بتحدّي وضمود والألاجئين الّذين أضطروا إلى الخروج من وطنهم وحرموا من أبسط حقوقهم الإنسانيّة في الغربة.
2. تنقسم السخرية في شعر البرغوثي إلى ثلاث إتّجاهات رئيسة وهي 1. السخرية من النفس (الأنا) والشعور بالإغتراب/ 2. السخرية من قادة العرب/ 3. السخرية من فقدان حريّة التعبير عن طريق "المفارقة". يحمّل الشاعر مسؤوليّة معاناة المواطن الفلسطيني إلى نفسه أحياناً فيصّف نفسه في حالة مزريّة يرثي لها كما يخوض في حالة صراع نفسي مع ذاته الفارقة لهويّتها. ونراه يوجّه خطابه التّهكّي من وقت لآخر إلى لامبالاة قادة البلاد العربيّة، الّذين خضعوا لتنفيذ أوامر كلّ من هبّ ودبّ من أصحاب القوّة والإستعمار بكلّ سهولة وأظهروا تسامحاً مضحكاً تجاه القضية الفلسطينيّة. كما يعكس الشاعر مشاعره بالتناقض الّذي يجده بين نفسه وبين

السخرية في شعر مرید البرغوثي دراسة تحليلية نقدية

العالم الذي يعيش فيه بلغة موحية تعبيراً عن موقفه العدواني بطريقة غير مباشرة قائمة على التورية.

3. تتنوع الأساليب التي يستمد منها البرغوثي للتعبير عن الواقع الفلسطيني المتأزم والوضع الاجتماعي والسياسي الذي عانى منهما بمنظور سخري لاذع وهي تتراوح بين استخدام الصناعات الأدبية بما فيه التشخيص والإستعارة والتناص والتكرار والتورية واللجوء إلى المفارقة واستعمال صيغة الأمر لينبّه مواطنيه بالنعس والغفلة التي أصابتهم وليدعوهم إلى قيمهم الحقيقية أنزلوا بها بالثورة على الظلم والإستعمار.

الهوامش:

¹ السيد عبد الحليم محمد حسين، السخرية في أدب الجاحظ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 1988، ص5

² فرماه زعيم، السخرية والإبداع، نشره رشد أموزش زبان وادب فارسي، العدد62، 1381، ص47

³ حسين خربوش، أدب الفكاهة الأندلسي: دراسة تطبيقية، د.ط، منشورات جامعة اليرموك، 1982، ص8

⁴ سعدي ضناوي، مدخل إلى علم اجتماع الأدب، دارالفكر العربي للطباعة والنشر، ط1، 1994، ص37

⁵ زكريا إبراهيم، سيكولوجية الفكاهة والضحك، دارالعلم للطباعة والنشر، القاهرة، 1998، ص78

⁶ شوقي محمد المعاملي، الإتجاه الساخر في أدب الشدياق، مكتبة النهضة المصرية، ط2، 1987، ص13

⁷ رياض قزبحة، الفكاهة في الأدب الأندلسي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ط1، بيروت، 1998، ص90

⁸ <https://ar.wikipedia.org/wA>

⁹ ابن المنظور، لسان العرب، دارصادر، الطبعة الأولى، بيروت، 1990.

¹⁰ هنري برجسون، الضحك، ترجمة: سامي الدروبي، داراليقظة العربية، ط1، دمشق، 1996، ص13

¹¹ شوقي ضيف، الفكاهة في مصر، سلسلة دارالهلل، 1958، ص13

¹² علي أحمد سعيد أدونيس، مقدمة للشعر العربي، دار العودة، ط4، بيروت، 1982، ص40

¹³ سوزان عكاري، السخرية في مسرح أنطوان غندور، المؤسسة الحديثة للكتاب، ط1، بيروت، 1991، ص27

¹⁴ نفس المصدر: 24-25

¹⁵ حسين العلق، فن السخرية في شعر الكتاب في العراق في القرن الثالث الهجري، مجلة المورد، المجلد الرابع،

العدد الثاني، 1975، ص47-38

¹⁶ نفس المصدر: 37

¹⁷ شمسي و آقف زاده، الأدب الساخر أنواعه وتطوره مدى العصور الماضية، فصلية دراسات الأدب المعاصر،

السنة الثالثة، العدد الثاني عشر، 1390، ص106

¹⁸ نفس المصدر: 106

¹⁹ حسن جواد، تاريخ طنز در ادبيات فارسي، نشر كارون، ط1، طهران، 1383، ص22

- ²⁰ سيزا قاسم، المفارقة في القصّ العربي المعاصر، مجلّة الفصول، المجلّد 2، العدد2، 1982، صص143، 151.
- ²¹ حجت رسولي، ندا السادات ميركاظمي، رؤية كلية في التحول التاريخي للفكاهة، فصلية لسان ميبين، العدد3، السنة الثانية، 1390، ص 191
- ²² علي الخليلي، النكتة العربية: انفجارات في الأرض اليابسة، د.ط، منشورات دار الأسوار، عكا، 1979، ص 7
- ²³ محمد صابر عبيد، المغامرة الجماليّة للنصّ الشعري، ط1، إربد: عالم الكتب الحديث، ط1، 2008، ص24
- ²⁴ حسون ناي، محمّد. (2000). الغربة والحنين في شعر الجواهري، رسالة ماجستير. الأستاذ المشرف: سحاب محمّد الأسدي. الجامعة الإسلامية بغداد، كليّة الآداب. ص45
- ²⁵ فيروزين رمضان. (2005). الغربة والحنين في شعر سليمان عازم، رسالة ماجستير. الأستاذ المشرف: عبد الحميد بورابو وحמיד بوحبيب. جامعة الجزائر، كليّة الآداب واللغات. ص31
- ²⁶ مريد البرغوثي، طال الشتات، بيروت: دار الكلمة النشر، بيروت، 1987، ص 62
- ²⁷ نفس المصدر: 63
- ²⁸ نفس المصدر: 72
- ²⁹ نفس المصدر: 63
- ³⁰ نفس المصدر: 24
- ³¹ نفس المصدر: 85
- ³² نفس المصدر: 90
- ³³ سيزا قاسم، المفارقة في القصّ العربي المعاصر، مجلّة الفصول، المجلّد 2، العدد2، 1982، ص14
- ³⁴ حامد عبده الهوّال، السّخرية في أدب المازني، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، القاهرة، 1982، ص33
- ³⁵ مريد البرغوثي، طال الشتات، بيروت: دار الكلمة النشر، بيروت، 1987، ص 68
- ³⁶ _____، قصيدة "لامشكلة لدي"، مجلد الأعمال الشعرية الكاملة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1997
- ³⁷ الأزهر الزناد، دروس في البلاغة العربية، الدار البيضاء المركز الثقافي العربي، بيروت، 1992، ص167
- ³⁸ سيد البحراوي، في البحث عن لؤلؤة المستحيل، دار شرقيات للنشر والوزيع، الطبعة الأولى، القاهرة، 1996، ص 135